مجلة علم النفس

مجلد ٦ يونيو — سبتمبر ١٩٥٠ عدد ١

# سيكولوجية الغياب

بقلم

زكريا إبراهيم بقطر

قد تبدو كلمة « الغياب » absence فى لغتنا العربية كلمة قلقة لا يرتاح إليها السمع ؛ ولكننا مع ذلك كثيراً ما نتحدث عن « غياب » الحبيب ، وكثيراً ما نسأل عن شخص ما من الأشخاص فيقال لنا إنه « غائب » اليوم ، وربما « يحضر » غداً ، كما أننا قد نمنع شخصاً من التحدث عن زميل لنا هو فى عداد « الغائبين » لأن « الغيبة » خصلة مذمومة ؛ وربما نكون قد شاهدنا فى تجربتنا العادية مريضاً فى حالة « غيبوبة » ؛ ولعلنا أيضاً سمعنا عن العلوم « الغيبية » ، إن لم نكن قد سمعنا على الأقل عن أولئك الأدعياء الذين يزعمون القدرة على التنبؤ « بالغيب » !

بيد أننا نبادر فنطمئن القارئ بأن موضوعنا لن يتطرق إلى كل هذه المعانى المتشعبة ، لأن كل ما نريد أن نعرض له بالبحث فى هذا المقال الموجز إنما هو الدور الذى يقوم به « الغياب » فى صميم الحياة النفسية . وهنا نلاحظ أن العادة قد جرت باعتبار « الحضور » وجوداً ، و « الغياب » عدماً ، حتى أن كثيراً من الفلاسفة المعاصرين ليستعملون كلمة « الحضور » présence كمرادف لكلمة « الوجود »[1] ولكننا نود أولا وقبل كل شىء أن نقرر بأن « الغائب » l'absent ( أعنى ما ليس « حاضراً » ) هو أبعد ما يكون فى نظر الإنسان

(١) نستطيع أن نذكر من بين هؤلاء الفلاسفة لافل Lavelle مثلا فى كتابه "Présence Totale"

عن « اللاوجود » أو « العدم » . فما لم يعد موجوداً ( أى الماضى ) وما لم يوجد بعد ( أى المستقبل ) ليس فى نظرنا من قبيل « المعدوم » أو « غير الموجود » . ولو كان الوجود « الإنسانى » هو مجرد وجود فى « الحاضر » ، لما كان ثمة أى فارق بين الإنسان والحيوان . ومعنى هذا بعبارة أخرى أن الإنسان هو الموجود الوحيد الذى ليس مستغرقاً فى الزمان والمكان إلى الحد الذى يجعل منه مجرد كائن يحيا فى الحاضر ، دون أن يستطيع التخلص من القيود التى تربطه بهذا الحاضر . — ولولا أن الوجود الإنسانى هو فى صميمه وجود حر ليس مستغرقاً فى العالم الخارجى ، لما كان فى وسعنا مطلقاً أن نتحدث عن أى « خلق » أو « إبداع » فى الحياة الإنسانية . . . وماذا عسى أن يكون « الخلق » إن لم يكن تصوراً للغائب ، بالإستناد إلى « الماضى » أو إلى « الحاضر » ؟ بل ماذا عسى أن يكون الوجود الإنسانى بأسره ، إن لم يكن اتجاها نحو المستقبل ، ونزوعاً نحو « الغيب » ، من أجل الخلق والإبداع ، وفى سبيل تحقيق القيم الإنسانية التى لا يستوعبها الحاضر ؟

ولكننا لا نريد أن نضع أمام القارئ عبارات فلسفية قد تكون أقرب إلى النتائج منها إلى المقدمات ، بل حسبنا أن نلتمس نقطة محسوسة نستطيع أن نجعل منها نقطة البدء فى هذا البحث الذى تريد نتائجه أن تجىء قبل مقدماته ! وهنا أستميح القارئ العذر فى أن ألتمس نقطة البدء فى تجربتى الخاصة فأقول : إننى موجود الآن فى باريس ، وقد خلفت أهلى وأقربائى فى مصر ، ومع ذلك فإن فى وسعى أن « أستحضر » صورهم أمامى ، وكثيراً ما أجد نفسى كأنى بإزاء هؤلاء الأشخاص « الغائبين » وجهاً لوجه ! ومعنى هذا أننى حينما أتمثلهم فإنما أرى شخصيات حقيقية ، لا مجرد أوهام فارغة أو صور ذهنية خاوية . وبعبارة أخرى أقول إن هؤلاء « الغـــائبين » هم فى نظرى « موجودات » êtres وليسوا مجرد « أفكار » . بل إننى لا أستطيع أن أتمثل هؤلاء الأقرباء ، دون أن أشعر فى الوقت نفسه بأن بيننا صلة هى صلة الحاضر بالحاضر ، لا صلة الغائب بالغائب . والواقع أننى حينما أفكر فى والدى مثلا فإننى لا أفكر فيه باعتباره مجرد « هو » lui بل إنما أفكر فيه دائماً من حيث هو « أنت » toi. وليس من شك فى أن كل تفكير فى الآخر باعتباره « هو » إنما يعنى اعتبار الآخر « غائباً » ؛ لأن غيابه هو الذى يسمح لى بأن أجعل منه « موضوعاً »

أتعقله كما أتعقل سائر موضوعات التجربة — وأما التفكير فى « الآخر » باعتباره « أنت » un toi فإنه باستمرار تفكير فى الآخر من حيث هو « حاضر » بوجه ما من الوجوه . وعلى ذلك فإن فى وسعنا أن نقول مع جبريل مارسل : إن هناك « حضوراً » هو بمثابة « غياب » ، كما هو الحال حينما نكون بصدد شخص لا نعرفه فنتصرف بإزائه كما لو كان « غائباً » ؛ ومن جهة أخرى هناك « غياب » هو بمثابة « حضور » ، كما هو الحال حينما نكون بإزاء شخص لا نملك أن نجعل منه مجرد « هو » حتى ولو كان غائباً ( لأننا نفكر فيه دائماً باعتباره « أنت » )[١].

ومن الملاحظ أن فكرة « الغياب » تستلزم بالضرورة أو هى تفترض حتماً فكرة « الحضور » : فأنا حينما أطلب مقابلة شخص ، ثم يقال لى إنه « غائب » اليوم ، سرعان ما افترض أنه ربما كان « حاضراً » أمس أو أول أمس ، أو ربما يكون « حاضراً » غداً أو بعد غد . بيد أن ثمة « غياباً » نشعر جميعاً بأن له طابعاً حاسماً ( كأن ليس بعده حضور ) وهذا هو غياب الموت ( من حيث أن الميت هو الغائب الذى لن يحضر ) . ومع ذلك فإن أحداً لا يستطيع أن ينكر أن هناك نوعاً من الصلة بين الأحياء والموتى ؛ وهذه الصلة قد تكون أكثر من مجرد صلة بين « حاضر » و « غائب » . ومهما كان اعتقادنا فيما يتعلق بمشكلة الخلود ، فإن من المؤكد أن الميت الذى عرفناه وأحببناه ، يظل بالنسبة إلينا « موجوداً » un être وليس مجرد « فكرة » . ومعنى هذا أنه يظل مرتبطاً بوجودنا الشخصى ، أو هو على أقل تقدير يظل حيا فى ذواتنا ، وإن استعصى علينا فى كثير من الأحيان أن نحدد على وجه الدقة نوع هذه الصلة الحية التى تظل تربطنا بالرغم من كل غياب . ولعل هذا هو السر فى أننا كثيراً ما نشعر شعوراً غامضاً بأن ثمة ضرباً من « التراسل » فيما بين الأحياء والموتى ، حتى أن الميت ليبدو فى بعض الأحيان وكأنه « حاضر » أمامنا ، أو كأنما هو شخص مقنع يدور بيننا وبينه حوار كهذا الذى يدور بين الأنا والأنت ! .

ولسنا نريد أن نعرض لمشكلة الموت ( باعتباره غياباً ) وإنما حسبنا أن نقول إننا نشعر بأن الموت لا يصبح مشكلة إلا حينما يرتبط بمشكلة الحب .

(١) Gabriel Marcel: "Du refus à l'invocation", Gallimard, p. 48-49.

أعنى حينما نكون بصدد موت الحبيب : فالشعور الحقيقى بالموت إنما يكون حينما نفقد الشخص الذى نحبه ، إذ هنالك يكون موت الحبيب هو « موت الوحيد » ( la mort de l'unique )[١] . — ومعنى هذا أننى إذا أحطت نفسى بالخلاء من كل جانب ، فإننى أستطيع عندئذ أن أستسلم للموت كما أستسلم للنعاس . ولكن حينما تنبثق الـ « أنت » le toi فهنالك يصبح الموت مشكلة . وهنا قد نستطيع أن نتحدث مع جبريل مارسل عن « الإخلاص » la fidélité ؛ فإن الإخلاص ليتحدى كل غياب ، وبفضله نستطيع أن ننتصر على ضرب من الغياب كثيراً ما نعده بغير حق غياباً « مطلقاً » ، أعنى ما نسميه بالموت [٢].

ولكن إذا كنا قد أنكرنا الموت باعتباره غياباً مطلقاً ، فهل معنى هذا أن لا موضع للغياب فى تجربتنا الإنسانية ؟ هذا ما نريد الآن أن نعرض له بالبحث ، حتى نقف على ما للغياب من قيمة فى الحياة النفسية . وهنا نلاحظ أن كل « غياب » من شأنه أن ينضاف إلى الحضور السابق عليه ، فيكون بمثابة « حضور » من نوع آخر[٣] . وهكذا يمكننا أن نقول إن الظلام يرى ، والصمت يفسح المجال للتأمل ، بل إن الموتى أنفسهم ليلاحقوننا فى حياتنا العادية . ومعنى هذا أن ما نسميه بالغياب ليس من قبيل الخلاء أو العدم ، بل هو يدخل فى صميم تجربتنا كشىء مشعور به . ولنضرب لذلك مثلا فنقول : إذا اتفقت مع شخص على أن نلتقى فى موعد ، فإننى أنتظر « حضوره » حينما يحين هذا الموعد . وهنا يكون تخلفه ( أعنى غيابه ) بمثابة تجربة أعانيها وأشعر بها . أما إذا لم أقابل فى مكان معين شخصاً لم يكن « حضوره » منتظراً ، فإن « غيابه » ( أو عدم حضوره ) لا يكون فى هذه الحالة بمثابة « تجربة » . وإذن فإننا كثيراً ما نشعر بالغياب فى تجربتنا العادية كحالة لها وجودها فى صميم حياتنا النفسية . والواقع — كما يقول لسن Le Senne — إن التجربة الإنسانية كثيراً ما تشعرنا بالخلاء ، والوحدة ، والماضى ، والمستقبل ، والضائع ، والغائب ،

---

(١) هذه هى وجهة نظر الفيلسوف الألمانى كارل يسپرز وهى تتفق مع نظرتنا ونظرة جبريل مارسل أيضاً .

(٢) G. Marcel: "Du refus à l'invocation", Gallimard, 1940, p. 198.

(٣) R. Le Senne: "Obstacle et Valeur" Aubier, 1934, p. 21.

والمنسى ، والخطأ ، والوهم . . . . وهذه كلها مظاهر للغياب تحتل جانباً هاما فى تجربتنا العادية — فالتجربة إذن تقوم على الحضور والغياب معاً ، وإن كان الغياب نفسه ضرباً آخر من الحضور(١).

بيد أن من الخطأ أن نتوهم بأن التجربة هى كل شئ فى شعورنا بالغياب ، بل إن من الواجب أن نلاحظ مع سارتر الدور الذى يقوم به « التصور » فى هذا الصدد . ولنفترض مثلا أننى دخلت مقهى من المقاهى للبحث عن صديق معين : فنى هذه الحالة ترين « صورة » هذا الصديق على سائر ما فى هذا المقهى ، حتى ليكون كل ما عداه ( أى ما عدا هذا الشخص الذى أبحث عنه ) فى حالة غياب . أما إذا تحققت من أن صديقى ليس موجوداً بالمقهى ، فإننى إذا ما جلست إلى مائدة أشخاص آخرين أو إذا ما تحدثت مع بعض المعارف الذين ألتقى بهم فى المقهى ، فإن صديقى فى هذه الحالة يصبح بمثابة «صورة» متلاشية ، أعنى فى حالة «غياب» بإزاء هؤلاء الأشخاص « الحاضرين »(٢) ومعنى هذا أن الغياب والحضور يرتبطان ارتباطاً وثيقاً بالتصور ( وهى الملكة التى ينسب إليها سارتر القدرة على الملاشاة « néantiser » ) . وفى هذا الصدد يرى سارتر أننى حينما أتخيل ، فإننى « ألاشى » ما أدركه حسياً . وبالعكس حينما أدرك إدراكاً حسياً ، فإننى ألاشى تصوراتى التخيلية ، ولولا هذا لاختلط علينا « التصور » و « الإدراك الحسى » . وعلى كل حال فإننا لا نريد أن نعرض لمناقشة هذه النظرية ، وإنما حسبنا أن نقول إن مذهب سارتر الوجودى يتفق كل الاتفاق مع هذه النظرية ، من حيث أن « الوجودية » تدخل العدم والخلاء والملاشاة فى صميم الوجود الإنسانى . وحتى حينما يعرض الوجوديون لدراسة الشعور بالذات فإنهم لا يجعلون « الذات » حاضرة نفسها ، بل يذهبون إلى أن « العدم » هو فى صميم ما نسميه عادة بالذات . وهذا ما عبرت عنه سيمون دى بوفوار بقولها : « إن من العبث أن أتأمل ذاتى فى المرآة ، أو أن أسرد على نفسى تاريخ حياتى ، فإننى لن أستطيع أن أقبض على زمام ذاتى كأنى بإزاء موضوع له كيان حقيقى ؛ وإنما كل ما أشعر به هو هذا الخلاء الذى هو فى الحقيقة

---

(١) *Ibid*, p. 74

(٢) Jean Paul Sartre: "l'imaginaire." Gallimard, 1940

صميم ذاتى ، من حيث أننى أشعر بأننى لست موجوداً حقاً » (١).

ولكن هل من الحق أن « الذات » هى باستمرار « غائبة » عن نفسها ، كأنما نحن فى حالة وسن دائم أو نوم كرقاد الموت ؟ أليس الأدنى إلى المعقول أن نقول بأن كل ما نشعر به فى تجربتنا العادية من خلاء أو نقص إنما هو بمثابة « غياب » يفترض « الحضور » أو على الأصح يستلزم « البحث » la recherche من أجل « استحضار » ما هو فى حكم الغائب ؟ الواقع أن الإنسان إنما يستطيع أن يتصور « الغائب » لأنه يملك فى الوقت نفسه قدرة تؤهله لأن « يبحث » . وهنا يتجلى الفارق الكبير بين الحياة الإنسانية والحياة الحيوانية ، فإن فى وسعنا أن نقول : « إن الحيوان لا يبحث »(٢) « L'animal ne cherche pas... » بل حينما ينقصه شىء ، فإن هذا النقص يولد فيه حالة من التوتر يظل معها حائراً خائب الأمل ، ولكنه لا يعمل من أجل الحصول على ما ينقصه ، بل قد يندفع بفعل الحرمان إلى تطلب ما يحقق له حالة الامتلاك . ومعنى هذا بعبارة أخرى أن الحيوان لا يجعل من « الغياب » l'absencc موضوعاً إيجابياً للتصور ؛ فى حين أن الإنسان يستطيع دائما أن يتصور ما ليس بموجود .

والحق أن الإنسان يفهم « الغياب » لأنه يملك من الحرية ما يستطيع معه أن يهرب من « الحاضر » . وليس ثمة سجن لا يستطيع المرء أن يهرب منه بالفكر ، فإن « الغائب » عن الحس كثيراً ما يكون « حاضراً » أمام الفكر ! ولكن الفكر الإنسانى لا يتصور الغائب لمجرد أنه لا يرضى عن الحاضر ، بل لأن ما يتطلبه الوجود الإنسانى ليس من قبيل المعطيات الخارجية ، وإنما هو شىء عليه أن يحققه بنفسه ويخلقه بفعله . ومعنى هذا أننا نتصور « الغياب » ، لأننا قادرون على أن نعلو فوق الحقيقة الخارجية بما نحققه فعلا — ( l'homme est capable de dépasser la ré-alité par la réalisation ) ، وهكذا نستطيع أن نقول إن « الخلاء » الذى نشعر به حينما نكون بصدد ما سميناه « غياباً » إنما يستلزم فعل الذات من أجل سد هذا الفراغ . وهنا يكون الجهد الإرادى الذى تقوم به الذات ،

---

(١) Simone de Beauvoir: "Pyrrhus et Cinéas.", Gallimard, 1943.

(٢) G. Stern: "Une interprétation de l'Aposteriori." dans les "Recherches Philosophiques.", vol. IV 1934-1935, p. 77-78.

عبارة عن « سعى » من أجل الكشف عن ذلك « المجهول » الذى يملأ كل وجودها بغيابه ؟ وهكذا يتجه الوجود الإنسانى بأسره نحو ذلك « المجهول » الذى هو فى حكم المعدوم ، وإن كان غيابه يشعرنا بأنه لا بد أن يوجد ، أو بالأحرى لا بد من أن نعمل على إيجاده .

ولكن ماذا عسى أن يكون هذا « المجهول » الذى تسعى الذات الإنسانية إليه ، والذى نشعر جميعاً بأن علينا أن نعمل على الدنو منه ؟ هنا نستطيع أن نهيب بنظرية لسن Le Senne فى « القيمة » la Valeur فنقول بأن الوجود الإنسانى إنما يستلهم كل وحيه مما يمكن تسميته بالقيمة ، من حيث أن « القيمة » هى التى تجتذب الذات الإنسانية ، بالرغم من سائر العوائق التى قد تعترضنا فى الطريق . فالوجود الإنسانى هو إلى حد كبير وجود من أجل المستقبل ، أعنى من أجل ذلك المجهول الذى هو فى حكم « الغيب » ، وإن كان الفراغ الكائن فى صميم وجودنا ليتطلبه بشدة ، حتى يسد كل ما فى تجربتنا الحاضرة من نقص . ومعنى هذا بعبارة أخرى أن ما يخلع على الوجود الإنسانى كل معناه ، إنما هو هذا السعى الذى تقوم به الذات من أجل سد كل فراغ فى التجربة ، بنزوعها نحو « القيمة المطلقة » التى كثيراً ما تبدو فى حكم « الغائب » ، وإن كانت هى « الحضور » المطلق (١).

بيد أن « الذات » فى هذا السعى كله إنما تنشد نفسها خلال مانسميه بالقيمة المطلقة ؛ وهذا السعى لا ينتهى أبداً حتى الساعة الأخيرة من حياتنا . ومن ثم فإن الذات ليست حقيقة « معطاة » « une réalité donnée » تتمتع بحضور دائم ، بل هى حقيقة تبحث عن ذاتها ، وفى أثناء هذا البحث كثيراً ما تكون فى شبه « غيبوبة » عن نفسها . ولهذا يقول لاقل فى كتابه « الشعور بالذات » : « إننى لا يمكن أن أكون حاضراً أمام ذاتى حضوراً تاماً إلا يوم الوفاة »(٢) وهكذا نستطيع أن نقول إن ما نسميه بالغياب ، إنما يدخل فى صميم حياتنا النفسية ، باعتبار أننا نتراوح دائما بين حالتين متعاقبتين من الحضور والغياب .

وحتى هذه الظاهرة البسيطة التى نطلق عليها « شرود الذهن » إنما هى فى

(١) R. Le Senne: "Obstacle et Valeur.", Aubier 1934, p. 204.

(٢) Louis Lavelle: "La Conscience de soi.", Grasset, 1933, p. 258.

جوهرها بمثابة نوع من « الغياب » . ولعل هذا هو السبب فى أن اللغة الإنجليزية تطلق على الشخص الذى يشرد بالذهن absent-minded: ( أى غائب الذهن ) . وليس غريبا أن تعرض لنا جميعاً هذه الحالة التى تسمى بالغياب الذهنى ، فإنه من الطبيعى أن تجتذب انتباهنا أشياء أخرى غيرما يعرضه أمامنا « الحاضر » ، وما تقدمه لنا التجربة . وهذا الغياب الذهنى يتمثل بوضوح حينما نكون بصدد حاضر مقفر أو تجربة ناقصة ، فنجوب بالذهن آفاقا أوسع ، ونطوف فى ربوع من الخيال قد تكون أجمل من الواقع ![1] وحتى حينما نكون بصدد موضوع مشوق ، كأن نكون بإزاء محاضرة يهمنا أن نستمع إليها ، فإننا بين الحين والآخر قد نجد أنفسنا « غائبين » عن موضوع المحاضرة . وليس معنى هذا الغياب الذهنى أن المحاضرة ليست مشوقة ، بل على العكس كثيراً ما يكون اهتمامنا بالموضوع باعثاً لنا على التأمل فيما نسمع ، وهذا التأمل هو الذى يحلق بنا فى آفاق أخرى قد تنأى بنا عن المحاضرة ! ولسنا فى حاجة إلى زيادة إيضاح ، فإنه مما لا شك فيه أن الشخص الذى يستمع إلى محاضرة ، لا يمكن أن يظل « حاضراً » باستمرار ، مثله كمثل المقاعد التى توجد بالقاعة ، بل هو باستمرار فى حركة مطردة من الحضور إلى الغياب ومن الغياب إلى الحضور .

وأخيراً نلاحظ أن كثيراً من المشاعر الإنسانية كالرغبة والأسف والحب مثلا ، إنما تقوى بفعل « الغياب » : أما « الرغبة » le désir فهى باستمرار تطلب لما لسنا نملك ، أعنى ما هو « غائب » أو ما ليس بموجود بالقياس إلينا . ولسنا نريد أن نذهب إلى حد القول بأن حياتنا إنما هى عبارة عن سلسلة متلاحقة من الرغبات ، بمعنى أنها مجرد سعى وراء « الغيب »[2] ، وإنما نكتفى بأن نقول إن دراما الحياة الإنسانية كثيراً ما تتمثل بوضوح فى هذه الحركة المستمرة من حرمان إلى امتلاك ، ومن نقص إلى امتلاء ، ومن غياب إلى حضور ، وبالعكس . . . أما « الأسف » فهو عبارة عن التحسر على الماضى ، من حيث أن الماضى قد أصبح بمثابة « غائب » لا سبيل إلى استحضاره فى الواقع ولا يقوى الأسف إلا إذا كان « الحاضر » مقفراً ، والمستقبل « مظلماً » . ولكن

(١) أليس من الحق أحياناً أن الغائب أجل من الحاضر ، والابن الغائب أعز لدى والديه من إخوته الحاضرين ؟ .

(٢) M. Bernabei: "Moi et Non-moi", article dans les "Recherches Philosophiques" vol. IV. 1934-1935. p. 56-57.

بعضاً من الناس يجدون لذة كبرى فى اجتراء الماضى ، كائنا ما كان ، لأن « غيابه » يكسبه سحراً يجتذب أولئك الذين لا يستطيعون أن يقبضوا على الحاضر ! . . .
أما « الحب » فإن الغياب قد يزيد من سورته ، كما هو الحال حينما يجىء غياب الحبيب فيكون مناسبة طيبة لعملية « التبلور » التى تحدث عنها ستندال ، إذ يخلع المحب على حبيبه الغائب سائر الصفات التى يتصورها فى خياله الخصيب ، وهكذا يضفى عليه كمالا قد يكون « حضوره » هو الكفيل بتبديده فى لحظة واحدة(١) .

* * *

أما بعد فإننا لا نستطيع أن نختم هذا البحث دون أن نشير بكلمة واحدة إلى تلك الظاهرة التى لا نعدم لها نظيراً عند سائر الشعوب ألاوهى : التنبؤ بالغيب . فنحن هنا بإزاء ظاهرة جديرة بالبحث وهى تعبر عن انشغال الإنسان بالمستقبل المجهول ، واهتمامه من قديم الزمن بكل ما يخرج عن نطاق « الحاضر » . وليس بدعاً أن نجد لدى الإنسان هذه « الرغبة » الملحة فى تعرف الغيب ، فإنه مما لا شك فيه أن هذه الرغبة إنما هى صدى لتلك النزعة الاستطلاعية التى ترغب فى الكشف عن المجهول لسد فراغ فى الحاضر ، أو لتعويض نقص فى التجربة الحالية . ولكن ما نحرص هنا على تأكيده إنما هو شغف الإنسان بالغيب ، والمستقبل ، والمجهول . والواقع أن الذات الإنسانية لا تجد نفسها تماماً فيما حققته حتى الآن ، بل فيما سوف تحققه . ولئن كان هذا الذى ستحققه فى حكم الغيب ، لأنه ليس بموجود بعد ، إلا أنه مع ذلك ماثل فى الذات كفراغ لا بد من سده ، أو كغياب يفترض بالضرورة حضوراً . وإذن فإن ما نشعر به من « خلاء باطن » ليس فى الحقيقة سوى ضرب من « الغياب » نسعى بكافة الطرق إلى القضاء عليه ، وهكذا نحاول أن نملأ تلك الهوة النفسية بما نحققه من الأفعال التى تكفل لنا الشعور بالامتلاك والحضور . ومعنى هذا أن الكلمة الأخيرة فى الحياة النفسية ، لا يمكن أن تكون للغياب ، بالرغم من هذه المحاولة التى قمنا بها للوقوف على الدور الذى يقوم به الغياب فى الحياة النفسية .

باريس — زكريا إبراهيم بقطر

(١) ndré Maurois: "Un art de vivre", Plon. (l'art d'aimer).

## PSYCHOLOGIE DE L'ABSENCE

Dans cet article l'auteur a pour but de nous montrer le rôle de l'absence dans l'expérience humaine. Partout, l'expérience nous fait ressentir le vide, la solitude, le passé, l'avenir, le perdu, le détruit, l'oublié, l'erreur, l'illusion, etc. (Le Senne: "Obstacle et Valeur.") Ce qui n'est pas encore, ce qui n'est plus, ce qui est "absent"; rien de tout celà n'est semblable pour nous au "néant". "Toute absence s'ajoute à l'exprésence et c'est aussi une autre présence." L'expérience joue partout avec la présence et l'absence ensemble.

L'animal ne comprend pas l'absence. En effet, comprendre l'absence suppose la perspective de la liberté humaine (capable de dépasser la réalité par le réalisation.) L'animal ne cherche pas; tout au plus peut-il, s'il lui manque quelque chose, vivre dans une déception constante de la vraie possession; il n'agit pas pour trouver ce qui lui manque, il est agité par la privation. Mais "il ne fait pas de l'absence un objet positif de la représentation". (G. Stern.)

La séparation, l'éloignement, la mort même; voilà tant d'absences pleines. Un absent à qui je pense comme un *toi* n'est pas en effet absent. Au contraire, je peux me comporter en face de quelqu'un comme s'il était absent (je le détermine comme *lui*, je l'objective, je raisonne sur lui comme sur une essence donnée) (Gabriel Marcel: "Du refus à l'invocation.")

Quant à la mort que nous appelons fallacieusement "l'absence absolue", nous pouvons dire avec Marcel que dès l'instant où le toi surgit, ce n'est plus le vide qui défie toute présence. Le mort que nous avons connue et aimé reste pour nous un *être;* il ne se réduit pas à une simple *idée* en nous. Par la fidélité, on triomphe de l'absence, et cet être qui est à jamais disparu, reste pour nous un interlocuteur voilà avec lequel on pourrait encore dialoguer !

*Zakaria J. Boctor.*